وتقديره مضموراً يفسره المذكور ، أم ماذا ؟ مع ملاحظة أن المصباح نفسه قد أورد قبل ذلك فى المادة نفسها هذه الجملة : « يقال اشترى الأمير كذا وكذا عبداً »

فهل يتفضل الأستاذ الكبير (ا . ع) بتوضيح ذلك وتبسيطه لعامة القراء ؟

(البجلات) أحمد الشرباصى

فى اللغة

طالعت بجريدة الأهرام صباح الأحد كلمة (هناء) فى مقال بإمضاء (مصرى) وتحت عنوان (يا أولياء الأمور) وقد سبق أن أنكر الباحثون وجود تلك الكلمة فى اللغة وقالوا إن الصحيح (هناءة) لا (هناء) فهل يتفضل العلامة وحيد بك بما يؤكد الخطأ أو الصواب . ولحضرته الشكر (ح . ع)

ذهب آل هوهنزلرن

تأليف الكاتب الانجليزى س . فورستر

للأديب سيد إبراهيم البكار

عند ما كان ابن عمى بريان طالباً بالطب ، كان كثيراً ما يختلف إلى منزلى ، وخاصة عند ما يكون فى حاجة شديدة إلى النقود . أما الآن وقد أصبح طبيباً ناجحاً فلم أعد أراه أو أسمع صوته . لذلك كانت دهشتى شديدة ، عند ما دق جرس التليفون فى أحد الأيام وكان المتكلم بريان . وسألنى عما إذا كان فى استطاعتى أن أستغنى عن جزء من وقتى ليواضعنى الرأى فى أمر هام . وقد انتهى حديثى معه بأن دعوته إلى العشاء .

ومع أننى كنت مشغولاً إذ ذاك بعرض إحدى رواياتى على مسارح لندن ، ومنهمكا فى درس تفاصيل اتفاق مع إحدى الشركات السينمائية على شراء رواية أخرى ، فإنى كنت مشتاقاً إلى رؤية بريان ، وقضاء بعض الوقت معه . فقد كان شاباً ظريفاً ، يتفجر حيوية ونشاطاً

وكان لبريان مقدرة عظيمة على ضبط نفسه ، فلم يكلمنى فى ذلك الأمر الهام حتى فرغنا من تناول العشاء وشرب القهوة . وفى أثناء ذلك أخذ يسألنى بكل أدب عن الرواية والفلم ، وعن مدى نجاح مسرحيتى الجديدة . ولم يكن عجيباً أن يلقبنى بريان بالعم فقد درج على ذلك منذ صغره ؛ ولم أكن من ناحيتى أرى غضاضة فى ذلك ، بل كنت أعتبر هذا شموراً طيباً منه نحوى . ولما فرغ بريان من إشعال سيجارته سألته عن ذلك الأمر الهام الذى كلمنى عنه فى التليفون .

قال بريان : حسن يا عمى ، كل ما أريده منك أن تصحبنى فى رحلة على ظهر الدوليسينيا . والدوليسينيا هو الاسم الذى أطلقه على يختى الخاص .

قلت : يا طفلى العزيز ، لقد كنت تتكلم الآن عن الرواية والفلم . وأنت تعرف أنى أريد أن أنتهى منهما . وعلى ذلك فلن يكون فى استطاعتى أن أستغنى عن دقيقة واحدة فى ستة الأسابيع القادمة .

قال بريان : حسن ، هذا ما كنت أخشاه ، فبعد ستة أسابيع يكون الوقت قد مضى ، وأنت تعرف أن الملاحة فى الدانوب تتعطل فى أثناء الشتاء .

— الدانوب ؟ وأين تريد أن تذهب ؟ ولماذا ؟

— أنت ترى ، ولكن يحسن بى أن أتكلم من البداية .

— إن هذا يكون أكثر إيضاحاً .

— لقد بدأت هذه القصة منذ أسبوعين مع أحد مرضاى وهو بحار ألمانى ظريف يدعى « باير » . وكانوا قد حملوه إلى المستشفى من الميناء ، إذ أصابته إحدى الرافعات إصابة خطرة . وقد بذلت ما فى وسعى لإنقاذه فنلت بذلك ثقته ، وقد ساعدنى على ذلك معرفتى باللغة الألمانية . وقبل وفاته بقليل أرسل إحدى الممرضات لاستدعائى — ولحسن الحظ كنت موجوداً حينئذ فى المستشفى — وأخبرنى عن الكنز .

— الكنز ؟

— نعم ، الكنز . إنها تبدو لك رواية خيالية . وقد ذكرت

فيك وهو يقص عليّ تلك القصة العجيبة . ألا ترى معي أنها كذلك ؟ البحار الذي يحتضر يقص على الدكتور الطبيب في المستشفى قصة الكنز المخبوء ، إنما كان ينبغي أن تكون مع البحار خريطة يبين عليها مكان الكنز .

— وهل كان معه ؟

— كلا ولكن ما قاله يكفي . لقد قال إنه كان جندياً في الحرب العظمى ، ولم يشتغل باللاحة إلا أخيراً . وقد كان أحد الحراس الثلاثة الذين أرسلته الحكومة الألمانية لحراسة مقدار من المال أرسلته إلى بلغاريا أثناء الحرب . وقد عهد إلى أحد الضباط حراسة العربة المملوءة بالمال . ولما كانت أرض بلغاريا صخرية وعرة ، فقد وصلوا إلى هناك متأخرين . وأنت تعرف أن بلغاريا كانت أسبق الدول التي بادرت إلى التسليم

— نعم . هذا صحيح . ولا زلت أعجب كيف أن الشبان الذين لم يكونوا إلا صبية صغار في سنة ١٩١٨ يعرفون عن معركة هاستنج أكثر مما يعرفه آباؤهم وأعمامهم الذين خاضوا غمارها وذاقوا ويلاتها

* * *

وعاد بريان يقول : لقد كانوا قريبين من الحدود عند ما سلمت بلغاريا . ولما سمع الضابط أن جيشاً إنجليزياً كان في طريقه إلى صوفيا أمر بتحويل عربة الكنز إلى خط آخر ، ووصلها بالقطار الذاهب إلى ألمانيا . ولم يكن سيرهم سريعاً ، لأن خطوط السكك الحديدية كانت غير منتظمة . وكانوا لا يزالون في هنغاريا عند ما سلمت النمسا أيضاً

قلت : هذا معقول جداً . فالنمسا كانت ثانية الدول التي سلمت

واستطرد بريان يقول : وهكذا كانوا هناك مع عربة من عربات السكك الحديدية ملأى بالذهب . ولم يكونوا قادرين على التقدم ولا على الرجوع . وكان عليهم أن يعملوا عملاً حازماً سريعاً . ومما حملهم على ذلك أيضاً أن التشيك والرومانيين كانوا يسيرون في اتجاههم . وكان الإيطاليون يتقدمون نحو فينا . وبالطبع لم يكن الضابط يريد أن يستولي الحلفاء على ذلك الكنز ولذلك دفنوه

قلت : وهل أخبرك أين دفنوه ؟

— بالطبع . فقد وقف قطارهم عند تل عال يقع بالقرب من قرية تسمى (ديلنجن) على نهر الدانوب . وعلى قمة هذا التل صليب تذكاري . وقد تعاون الضابط وباير والرجل الثالث على إخراج الذهب من العربة ، وحملوه ليلاً إلى أعلى التل ، ودفنوه هناك على عشر خطوات من الصليب المذكور

وقد قال لي باير إن المال كله كان في صناديق حديدية ، من بينها اثنان لم يستطيعوا حملهما إلا بصعوبة

— وهل تظن أنه كان يقول الحقيقة ؟

— نعم .. إني متأكد من ذلك تأكدي من جلوسي هنا معك

— ولكن هذا لا يعني أن الكنز لا يزال هناك

— صبراً . فسأخبرك عن كل شيء في وقته ، فبعد أن دفنوا الكنز رحل الثلاثة : باير ، والضابط ، والرجل الثالث ، قاصدين بلادهم . وقد كان رجوعهم شاقاً ، فقد كانت هناك ثورات في كل مكان ؛ وكانت آثار التخريب والدمار بادية في كل قرية

— نعم هذا صحيح ، فقد شاهدت بعيني ما حدث في دول أوربا الوسطى بعد الهدنة بقليل

— وعلاوة على ذلك لم يكن مع أحدهم الغذاء الكافي . وكانت عدوى الأنفلونزا منتشرة في ذلك الوقت ، وقد أصيب بها الرجل الثالث فمات في فينا . وبقي باير والضابط . ولما وصلا أخيراً إلى ألمانيا كانت الحرب هناك قد انتهت أيضاً ؛ ولكن كانت هناك فتن وقلاقل داخلية . وبينما كانا خارجين من محطة السكك الحديدية في درسدن قذف شخص مجهول قنبلة أصابت من الضابط مقتلاً . وأصيب باير بجروح لم تكن خطرة على كل حال ، فقضى هناك بعض الوقت حتى التأمت جروحه ، ولما ثابت إليه صحته صمم على أن يحتفظ بسر الكنز لنفسه وألا يخبر به أحداً ما داموا لم يسألوه عنه . فقد نسي الجميع كل شيء عن هذا الكنز وسط القلق والاضطراب والثورات القائمة

— ليس هذا بعجيب

— حسن . منذ ذلك الوقت وباير يبحث عن طريقة يحصل بها على هذا المال ؛ ولكن لم يكن ذلك بالشيء اليسير ، إذ يجب

عليه أن يجتاز بعض الحدود، ويتعرض للشبهات والظنون. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرحلة الطويلة الشاقة تتطلب كثيراً من النقود ولم تكن النقود متوفرة لديه. وكان يخاف أن يطلب معونة أحد حتى لا يطلعه على سره. لذلك أخذ يتنقل من عمل إلى آخر، منتظراً حدوث معجزة تدنيه من غرضه. ولكن لم يتحقق حلمه، فقد كان آخر عمل له أنه كان بحاراً على ظهر هذه السفينة الألمانية، ولم يعش طويلاً؛ فقد مات بعد أن قص على هذه القصة

— وهل سمعه أحد وهو يخبرك بهذه القصة؟

— كلا. إن هذا مستحيل. ومع ذلك فقد كان يكلمني باللغة الألمانية

— حسن، كل شيء يكاد يبدو حقيقياً، ولكن ما هي خطتك؟

— أريد أن تركب الدوليسيتيا إلى هناك، ويمكننا أن نبحر إلى أعالي نهر الرين، ونعبر القناة الواصلة بين الرين والدانوب

— يا إلهي! لقد نسيت كل شيء عن هذه القناة

— ومن ثم ننزل إلى الدانوب، من فينا، وبعد ذلك نرسو عند ديلاجمه، ثم نحمل الكنز ليلاً إلى اليخت. وأنت تعرف أن اليخت أكثر صلاحية لتخبئة الكنز من السيارة. ولن يرتاب فينا إنسان أو يشك في الأمر أحد

— هه!

— ستأتي معنا. أليس كذلك؟ ستكون أنا ودوروثي مسرورين بمجيئك

— دوروثي؟ يا للشيطان! وما الذي أدخل دروثي في الأمر؟ ودوروثي هي خطيبة بريان

— نحن على وشك الزواج، وستكون هذه الرحلة بمثابة شهر العسل لنا

— فليبارك الله نفسي. هل تظنني أصحبكما وأتطفل على زوجين في شهر العسل؟

— لكننا لا نبالي بذلك

— ربما لا تبالون أنتم بالأمر؛ ولكني أنا أبالي. إني أفضل أن يختل عقلي — كما أتوقع لنفسي — بهذه التجارب وهذا الغم. أما أنت فخذ اليخت، ولكن لا تسألني أن أصحبكما

— أشكرك يا عمي. سنأخذ نصف الكنز. هل تقبل؟ إننا سنستخدم يختك كما تعلم

ردني ما قاله إلى عالم الحقيقة مرة ثانية. لقد رن كل شيء في أذني معقولاً إلى الآن. ولكن عند ما أخذت أنظر في الأمر عن كثب بدا لي كل شيء أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة الواقعة. فاكتشاف الكنز المخبوء لا يكون إلا في القصص والروايات

وقطع علي بريان سلسلة تأملاتي بقوله:

— كم تظن من المال هناك؟

قلت: أنا لا أعتقد أن دولة كبيرة كألمانيا ترسل إلى بلغاريا في أثناء الحرب أقل من مليون جنيه. أليس كذلك؟

وتناولت ورقة وقلماً وأخذت أحسب

— كل شيء حسن. لقد حسبناها أنا ودوروثي. نحن نستطيع أن نحمل مليون جنيه على ظهر الدوليسيتيا بكل سهولة

وأخيراً اتفقنا على كل شيء. سأضع يختي تحت تصرف بريان؛ وعند ما يأتي بالمليون سيعطيني عشر هذا المليون. وأنا أعتقد أن مائة ألف جنيه تكفي عجوزاً مثلي لكي يقضي بقية حياته في هدوء واطمئنان. ويستطيع بريان أن يأخذ باقي المليون، وإذا لم يستطع إنفاق كل هذا المال فعليه أن يعيد بناء مستشفى لندن. وكنت أعرف أن بلاد الدانوب مليئة بالفتن والقلاقل، وأنهم سيتعرضون لكثير من المخاطر. فلما أبديت مخاوفي إلى بريان ابتسم وقال:

— إن دوروثي تحب المغامرات، وهي تخوض المخاطر بشجاعة منقطعة النظير. وعلى كل حال نحن نعرف كيف نحتفظ برؤوسنا سليمة، فلا تخف

وأخذنا نتناقش في بعض التفصيلات الخاصة بالرحلة، وإعداد العدة لها، ولم يبرح بريان منزلي إلا بعد الساعة الرابعة صباحاً

* * *

وأخيراً أتى اليوم السعيد، يوم زواج بريان ودوروثي. ولم أستطع التخلص من مشاغلي إلا بصعوبة. وما صدقت أني أصبحت حراً طليقاً، من أوامر الأستديو، وقيود التجارب في يوم بأكمله، حتى قصدت الكنيسة حيث أقيمت مراسيم الزواج، ووقعت باسمي شاهداً في السجل الخاص بالزواج، ثم

قدت العروسين السعيدين إلى مرسى الدوليسينا . كان أمامى ستة أسابيع قبل أن أراها ثانية . ولا أقول إن هذه الستة أسابيع مرت ببطء ، أو إنى قضيتها على أحر من الجمر ، فقد كانت مشاغلى كثيرة . كان أمامى الرواية المسرحية ، ومضايقات التجارب التى لا تنتهى ؛ ثم هناك أيضاً الفلم ، ولا يستطيع من يشتغل بإخراج فلم أن يجد من وقته لحظة واحدة يقضيها فى هدوء وسلام . وعند ما انتهى الفلم وأصبح صالحاً للعرض ، كان لا يزال على أن أنتهى من هذه الرواية بسرعة ، وقد انتهيت منها فى الوقت الذى تعهدت بتقديمها فيه إلى الناشر . وعند ما انتهيت من هذا كله أحسست كأن عبئاً ثقيلاً أزيح عن عاتقى . ومن ثم أخذت أفكر طويلاً فى الدوليسينا ، وكنت أتخيلها وهى تأخذ طريقها عبر القناة بين مرتفعات بافاريا ، ثم أتخيلها وهى تندفع مع التيار فى نهر الدانوب ؛ ثم أتخيلها وهى تثير شكوك البوليس فى سبع دول مختلفة

وكنت أواظب فى أثناء ذلك على قراءة الجرائد الأجنبية . ولكنى لم أعثر فيها على أى نبأ بالقبض على زوجين انجليزيين بتهمة التجسس أو سرقة كنز . ولكننى مع ذلك أخذت أتضايق ، وأوشك صبرى أن ينفد عند ما سمعت جرس التليفون يدق فجأة ، وكان الترنك ينادينى من سويسرا مباشرة

— هالو ! عمى ! لقد رجعنا ثانية . وكان الصوت صوت بريان

قلت : وهل أنتما بخير ؟

قال : نعم وقد وجدنا الكنز

وصحت فجأة : وجدتما ماذا ؟

— وجدنا الكنز كله سليما . ألم أقل لك إنى سأجده ؟ سأخبرك بكل شىء فى هذا المساء . نحن الآن فى الحطة على وشك ركوب القطار إلى المدينة

وربما كان أول ما خالج نفسى من مشاعر هو الاطمئنان لعودتهم سالمين ، ولكن مع هذا طغى علىّ فضول هائل لمعرفة كل شىء عن الكنز . وقد كنت ما أزال فى ريب من أن هذه المغامرة قد انتهت بهذه السهولة . وعهدى بالمغامرات أنها لا تتحقق إلا فى الروايات الخيالية التى كنت أؤلف منها العدد الكبير . كنت فى الحقيقة بين الشك واليقين ، وكنت فى اضطراب ذهنى ، وقلق فكرى ، عند ما أتى بريان ودوروثى لينقذانى مما أعانى

قلت عند رؤيتهم : حسن !

قال بريان : نحن مسروران لرؤية عمى المؤلف العظيم

وقالت دوروثى : لقد رأينا ونحن فى التاكسى جموع الجماهير المحتشدة وهى تتزاحم على شراء التذاكر لرؤية مسرحيتك الخالدة !

قلت : لعنة الله على المسرحية ، لنتكلم عن الكنز أولاً

قال بريان : حسن ، ولكن اسمح لى أولاً بشىء من الشراب يا عمى

وأحضرت إليه ما طلبه ، ثم أخبرت الخادم أن الدكتور والمسز سومرست سيبقيان للعشاء . ثم استدرت نحوهما وقلت : حسن

وابتدأ بريان يقول : لم تكن رحلة رديئة بالنظر إلى الذين كانوا يرافقوننى

ورمقه دوروثى بمخدة صغيرة

قلت وقد شعرت بالغضب لتدخلها : لا تكونى طفلة حديثة الزواج هكذا ! أتركى هذا الطفل الأحمق يقص قصته بطريقته الخاصة

وعاد بريان يقول : لم تكن الرحلة تستحق الذكر . إلا أن النهر كان مليئاً بالقوارب الكبيرة والجرارات الضخمة التى كانت تحدث صوتاً عالياً ، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع كلامك نفسه ؛ وقضينا يومين على هذا الحال . أما اليخت فيجب عليك يا عمى أن تضع فيه ماكينة فاخرة بعد ذلك . لقد كنت أقول دائماً إنك ستستعمل اليخت عاجلاً أو آجلاً

قلت بضيق : سأفعل ذلك فى المرة القادمة

— هذا عن نهر الرين . أما الملاحة فى الدانوب فقد كانت حسنة . إنه نهر واسع جميل ، وكانت الرياح تساعدنا ، وكانت الأمواج هادئة ، وبعبارة أصح كانت الرحلة موفقة . آه ، لقد نسيت أن أخبرك عن العبور من هولندا إلى ألمانيا . كان علينا أن ندفع ...

قلت وقد نفد صبرى : أنا لا أهتم بما تدفعه . استمر فى قصتك

— حسن ، لقد عبرنا تشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر ، وكان كل من يرى الراية الزرقاء ترفرف على اليخت لا يفهم السبب الذى حدا ببخت إنجليزى خاص إلى المجىء إلى أواسط أوربا ، ولكنهم اعتادوا رؤيتنا فلم يسببوا لنا متاعب عند رجوعنا أخيراً بالذهب ؛ وكان كل مكتب جمارك يدعونا لياقى علينا بعض الأسئلة عن المكان الذى أتينا منه ، وعما نفعله ، وإلى أين نحن ذاهبان ، وكان أكثرهم يتظاهر بأنه لا يعرف الألمانية

قلت وقد عيل صبرى : لعنة الله على الألمانية ! ألم تذهب أخيراً إلى ديلفنجن ؟

— نعم فى آخر الأمر ، وكان أول شىء بدا لنا من ديلفنجن هو الصليب التذكارى على المرتفعات القريبة من الماء . وكان هناك خط حديدى بجوار التل كما قال باير تماماً ؛ وكان علينا أن نذهب إلى الشاطئ ونعبر شريط القطار ، ثم نصعد إلى قمة الجبل ، ولما وصلنا إلى ذلك الصليب التذكارى خطوت عشر ياردات إلى الشمال منه ، وكان كل شىء حسناً

— ماذا تعنى بقولك حسن ؟

— لقد قال باير الصدق ، فقد كان هناك كثيب صغير من الرمال وحشيش نام لا يلاحظه إلا من يعرف مكانه بالضبط . وعلى ذلك فقد رجعنا إلى اليخت ، وانتظرنا إلى أن أتى الليل ، وكان الانتظار طويلاً ومملاً ، إذ كان يلوح لنا أن الوقت لا يتقدم . ولما خيم الظلام على الكون ، ذهبنا إلى الشاطئ ثانية ... وكنت قد اشتريت جراناً أثناء مروري بمدينة فينا ، فأخذناه معنا واجتزنا شريط القطار ، وكان قطار الشرق السريع الآتى من استامبول يمر فى ذلك الوقت ... فانتظرنا حتى مر ، ثم ارتقينا التل فى الظلام . ولم يكن من السهل العثور على ذلك الصليب التذكارى فى هذا الظلام الشامل ... ولكن كان من حسن حظنا أننا قد أتينا إلى هذا المكان فى النهار ... فجلست القرفصاء ، وأخذت أتحسس الأرض لكى أعثر على كثيب الرمل ... ولما وجدته بدأت أحفر فى ذلك المكان ... ولم أحفر كثيراً ، فبعد أن حفرت ثلاث بوصات بدأ الجراف يحدث صوتاً مسموعاً نجم عن اصطدامه بشىء معدنى ، وكان ذلك الشىء صندوقاً حديدياً كبيراً ... وبذلنا أنا ودوروثى مجهوداً كبيراً حتى أخرجناه من الحفرة ... !

وكان هناك صناديق أخرى فى تلك الحفرة . وكنت أعرف أننا إذا أخرجناها كلها من الحفرة فلن نجد الوقت الكافى لكى نحملها إلى اليخت قبل طلوع النهار . وهذا يعنى أن بعضها سيبقى على التل إلى النهار ، وسيظهر الناس على حقيقة الأمر كله . لذلك آثرنا أن نحمل هذا الصندوق أولا ، ثم نحمل بقية الصناديق فى الليالى التالية . وعلى ذلك ، فقد ردمنا الحفرة بعناية ورجعنا إلى اليخت بالصندوق الأول ، وكان ثقيلاً . وقد حدث أن وقع على قدمى ، وكشط الجلد كله ، وكانت دوروثى هى السبب فى ذلك ...

وصاحت دوروثى معارضة : كلا ، لست أنا ...

وصحت غاضباً : كونى هادئة ، أيتها الطفلة ...

وعاد برنان يقول : حسن ، بعد ما اجتزنا شريط القطار أوصلنا الصندوق إلى اليخت بواسطة قارب ، ثم وضعناه أخيراً فى الكابينة ، وكان أمامنا وقت كاف لكى نحضر صندوقاً آخر ، ولكننا آثرنا أن نفتح ذلك الصندوق أولاً لنرى ما بداخله

* * *

وكأنما تعمد برنان مضايقتى ، لأنه اختار هذه اللحظة بالذات لكى يشعل سيجارته ، ولكننى امتنعت عن أى معارضة وانتظرت بفارغ الصبر حتى انتهى من هذه العملية وعاد يقول :

— ولم يكن فتح الصندوق بالشىء الصعب ، فقد كان القفل قديماً قد أتلفه الصدأ ، فلم نجد صعوبة فى كسره ، وكان ...

فقاطعته وأنا أقول بلهفة : وماذا وجدتم فى الداخل ؟

— وجدنا المال الذى قال عنه « باير » ؛ ولكنه كان أوراقاً مالية ، وبالطبع كانت هذه الأوراق من الطبعة التى أصدرتها ألمانيا أثناء الحرب . وكان فى الصندوق نصف مليون فرنك إن لم يكن أكثر ؛ وأظنك اشتريت لى أوراقاً من هذا النوع بعد الحرب مباشرة لكى ألعب بها ، وفى الوقت الذى خرجت فيه هذه الأوراق من دائرة التعامل ، كان المائة ألف منها تساوى بنساً واحداً على ما أظن !

سيد ابراهيم البطر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)